

وذلك المن الأول دون سؤال يؤكد تحقيق منه بسؤال، ولا سيما بعد الرسالة، وعلّ **﴿قَدْ أُوتِيَ سُؤْلَكَ﴾** تشمل كل سؤله منذ ولادته إلى تربيته وإلى رسالته ومتطلباتها، فإن ذلك قضية المضي المؤكد بـ «قد» في **﴿قَدْ أُوتِيَ﴾** فمنه تعالى مرة أخرى وهي الأولى داخل في سؤله فإنه ليس سؤالاً حتى يختص بالحال، بل هو حاجة تقتضيه الحال على أية حال، سألها بلسان القول أو الحال أم لم يسألها في مقتضى الحال.

ولماذا **﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾** والمذكور في ما يوحى من ثمان؟ علّه لأنه نظراً إلى حياته الرسالية وقبلها، فالمن عليه في كل منهما مرة مهما كانت شتى، فقبل رسالته منة هي ثمان أم تزيد، وقبلها أخرى هي ستة أم تزيد فهما منتان كمجموعتين، وهما منن - لأقل تقدير - هي أربعة عشر كعديدها.

فالمن الأول من الأخرى: **﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى﴾** فإن مادة الوحي كانت لصالح الحفاظ على حياة موسى:

﴿أَنْ أَفْذِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾:

أترى هذه المادة الهامة الخطيرة من وحي الإلهام كانت رؤيا في المنام، كان تأويلها قذفه في التابوت ثم في اليم؟ وليست هنالك قاطعية في تأويلات الروئي إلا أن يكون المؤول من الأنبياء، والنص هنا لا يشير إلى رؤياً ولا تأويله ولا نبي في اليم!

إنها - بطبيعة الحال - وفي هذه الهامة الخطيرة، إلهام إلى قلبها في حد من الظهور والبهور لا يقبل أي تردد، وكأنها تحس الواقع المستقبل من نجاة موسى، لحدّ ألقته في التابوت إلى اليم.

كيف لا و**﴿إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾**

أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿١﴾ .

أو ليست أم موسى من هؤلاء - وهي تحمل أمانة الرسالة الإلهية - حتى تستحق نزول الملائكة عليها بذلك الوحي، حفاظاً على رسالة الوحي؟! وكما تمثل لأم عيسى روح الأمين ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (٢) لكي يلقي إليها غلاماً سوياً.

فهنا أم موسى يوحى إليها ما فيه الحفاظ على وليدها، وهناك أم عيسى يوحى إليها ليلقي إليها بشراً سوياً، وهما من أفضل الوحي فيما سوى النبوة والرسالة، ومن أدناه الوحي إلى النحل ثم للأرض.

فما كل ما يسمى وحيًا، يحمل رسالة إلهية، وهو في الأصل إشارة في رمز تكويناً أو تشريعاً، خيراً أو شراً، كما ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ﴾ (٣) !.

وكما أن وحي الشيطان دركات، كذلك وحي الرحمن درجات، أدناها للأرض، وأعلىها إلى المرسلين وبينهما متوسطات.

فلقد قذف في قلب أم موسى لأول ما يوحى ﴿أَنْ أَقْرِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ . . . أم حنون تلد ولداً كموسى، فبدل أن تحتضنه تقذفه في التابوت، وهي ما يلقي في الماء!

صحيح إنها تؤكدته وحيًا من الله، ولكنها كيف تجرؤ على الإقدام بما تؤمر، والعاطفة المرهفة والهيمنان البالغ تمنعانها عن ذلك، مهما الوحي يأمرها بذلك؟! .

هنا قذف في التابوت، ثم قذف في أليم، قد يلمحان بسرعة في العمل

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

دون أية رعاية، تعجلاً دون أي تأجيل، مما يوحش ولا سيما الأم الحنونة، لولد تعرفه من هو؟! .

ولكنما النص التالي يُطْمِئِنُّهَا أن ليس في إلقائه إغواءه: ﴿فَلْيَلْقِهِ أَلِيمٌ بِالسَّاحِلِ﴾ أمراً تكوينياً لليم أن تلقيه من خضمها إلى الساحل، ثم أمر آخر كما الأول لأقسي قلب وأعصى عبد: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ﴾ وهو فرعون الطاغية، عدو الله إذ ينكر ربوبيته بل يدعي هو الربوبية بديله، وعدو لموسى إذ يعلم أن بيده قضاء فرعنته وملكه، ولذلك أخذ يقتل الذكران من بني إسرائيل^(١) ولكنه مأمور تكوينياً باختيار أن يأخذ عدوه موسى ويحتضنه

(١) بحار الأنوار ١٣ : ٢٥ عن تفسير القمي حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حملت به أمه لم يظهر حملها إلا عند وضعها له وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط تحفظهن وذلك لما كان بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون إنه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده فقال فرعون عند ذلك: لأقتلن ذكور أولادهن حتى لا يكون ما يريدون وفرق بين الرجال والنساء وحبس الرجال في المحابس فلما وضعت أم موسى بموسى نظرت إليه وحزنت عليه واغتمت وبكت وقالت: تذبح الساعة، فعطف الله الموكلة بها عليه فقالت لأم موسى ما لك قد اصفر لونك فقالت: أخاف أن يذبح ولدي فقالت: لا تخافي وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه وهو قول الله: ﴿وَالْقَبْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩] فأحبه القبطية الموكلة به وأنزل الله على أم موسى التابوت ونوديت: ضعيه في التابوت فاقدفيه في اليم وهو البحر ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فوضعت في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل وكان لفرعون قصر على شط النيل متنزه فنظر من قصره ومعه آسية امرأته إلى سواد في النيل ترفعه الأمواج وتضربه الرياح حتى جاءت به على باب قصر فرعون فأمر فرعون بأخذه فأخذ التابوت ورفع إليه فلما فتحه وجد فيه صبياً فقال: هذا إسرائيلي فألقى الله في قلب فرعون لموسى محبة شديدة وكذلك في قلب آسية وأراد أن يقتله فقالت آسية: لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون أنه موسى ولم يكن لفرعون ولد فقال: التمسوا له ظئراً تربيته فجاءوا بعدة نساء قد قتل أولادهن فلم يشرب لبن أحد من النساء وهو قول الله: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ...﴾ [القصص: ١٢]. وفي بحار الأنوار ١٣ : ٤٦ فضضه روى مجاهد عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في =

ليحتزن به على جهله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ
فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَأَلْقَتْهُ سَالِةً فَسُوَّتْ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا... ﴿١﴾.

هنا وهناك يُطْلَعُه ربه عرضاً عليه من منة قبل رسالته، ليزيد علماً
وطمأنينة إنه لم يذهب ولن.. غَفَلًا عن عين الله ورعايته حين ضعفه على أية
حال، فكيف يذهب غفلاً في تلك الحال وقد بلغ أشده وأرسل بالوحي
وآيات الرسالة القاهرة الباهرة؟.

أترى لماذا الإلقاء في التابوت وهي لحمل الجنائز مما يخيف بدل أن
يُطْمَئِن؟.

﴿التَّابُوتُ﴾ معرّفًا دليلاً أنه صندوق خاص، وعلّ أصله «تابوه» من «تباه»
العبرية (؟؟؟) وهي بين: الصندوق - فلك نوح وتابوت العهد، والهاء في
آخر (تباه) إذا أضيفت إلى كلمة أخرى تقلب تاء فيقال: تَبَّتْ مِكتَابِيت
صندوق الرسائل.

إذاً فالتابوت لغوياً صندوق خاص فيه صيانة تامة لما فيه، وشاهداً له
قرآنياً ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

= خبر طويل قال: إن موسى بن عمران عليه السلام كان فرعون في طلبه يبقر بطون النساء الحوامل
ويذبح الأطفال ليقتل موسى عليه السلام فلما ولدته أمه أمرها أن تأخذه من تحتها وتقذفه في
التابوت وتلقي التابوت في اليم فقالت وهي ذعرة من كلامه يا بني إني أخاف عليك الغرق فقال
لها: لا تحزني إن الله يردني إليك فبقيت حيرانة حتى كلمها موسى وقال لها: يا أم اقدفيني في
التابوت وألقي التابوت في اليم قال: ففعلت ما أمرت به فبقي في اليم إلى أن قذفه الله في
الساحل ورده إلى أمه برمته لا يطعم طعاماً ولا يشرب شراباً معصوماً مدة.

وفيه عن الكافي عن سدير الصيرفي عن الصادق عليه السلام قال: إن فرعون لما وقف على أن زوال
ملكه على يد موسى أمر بإحضار الكهنة فدلوه على نسبه وأنه من بني إسرائيل فلم يزل يأمر
أصحابه بشق بطون الحوامل من بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود وتعذر
عليه الوصول إلى قتل موسى لحفظ الله تبارك وتعالى إياه.

(١) سورة القصص، الآيتان: ٧، ٨.

وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ .

فكما في هذا التابوت سكيمة من ربكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، كذلك التابوت الذي قذف فيه موسى وقذف في اليم تحمله رعاية الله في خِضْمِ اليم ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾! وعلّه هو التابوت الأوّل نفسه وقد وضع موسى فيه المن وعصا هارون ولوحي العهد، كما في الرسالة إلى العبرانيين الإصحاح التاسع: وأمر اللاويين أن يضعوا فيه كتاب التوراة بجانب عهد الرب في التابوت كما في تشية التوراة ٣١: ٢٥.

وعلى أية حال هو فاعول يدل على مبالغة في معناه، يوضع فيه الثمين الثمين حفاظاً عليه - بالغاً - عن الضياع، وقد يسمى تابوت الميت باسمه، لأنه يصونه عن الضياع حيث كان يوضع في صندوق ويدفن معه بماله من حاجيات ضرورية حيوية عله يحتاجها في قبره! .

ولماذا ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ دون «إلى الساحل»؟ علّ الساحل هنا مأمور كما اليم، فاليم يلقيه بواسطة الساحل الذي يلتقيه، فقد يلقي اليم ولا يتلقى الساحل ما ألقاه، أم يتلقى الساحل ولكن اليم لا يلقي، فهنا هما مأموران تكوينياً دون اختيار إلقاء وتلقياً، وكما فرعون مأمور قذفاً في قلبه تكوين الإختيار!

إذاً فهنا أوامر أربعة، أولها لأم موسى «وثانيها لليم: ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ﴾ وثالثها للساحل: ﴿بِالسَّاحِلِ﴾ ورابعها فرعون: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ .

وترى ﴿الْيَمُّ﴾ هنا هو البحر؟ أو النيل النهر؟ فلماذا لم يأت كل باسمه الخاص! .

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨ .

إنه البحر وعظيم النهر، فلأن النيل كان في عظمه كالبحر الملتطم، لذلك جاء بصيغة اليم.

والضمائر الأربعة كلها راجعة إلى موسى «اقذفيه . فاقذفيه . . فليلقه . . يأخذه» فإنه الأفسح الأصح من اختلاف المراجع، في أدب اللفظ وأدب المعنى، حيث المحور الأصيل هنا هو موسى، وما التابوت إلا حاملاً له كسفينة مأمورة في أمر اليم والساحل.

وكيف ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ﴾؟ حيث ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ فإن فرعون كان يعادي كل إسرائيلي عله موسى، فكان يعاديه كأحدٍ منهم بهذه الحائطة، وأصل عدائه لأن بيده انهياره، فلم ينج بهذه الطريقة الخارقة للعادة أن يأمر بأخذه من الساحل إلا بما ألقى عليه محبة منه ولحدّ تقول أهله: ﴿فُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)! أحبته فأحبه فرعون خلافاً لما يحكمه الجو الفرعوني!

ف «ألقيت» إلقاء خاص بإلغاء كل بواعث العداة وكوارثه، و ﴿عَلَيْكَ﴾ تجعل المحبة الملقاة سترًا له يشملها كله، فظاهره يجلب وباطنه يجذب، اللهم إلا فيمن يعرفه من هو وهو يعاديه لأنه هو، كفرعون الطاغية، ولكنه عرفه بعد وعانده ما عاند.

وترى ﴿مَنِّي﴾ متعلقة بـ «ألقيت»: إلقاء مني؟ أم بمحذوف كـ «حاصلة»؟ أو المعنيان معنيان، فكما المحبة ملقاة من الله كعناية خاصة، كذلك هي حاصلة من قبل الله لمن يحب الله فيحبه الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٢).

فموسى وإن لم يكن منذ ولادته كما وصف الله حتى يجعل له وداً -

(١) سورة القصص، الآية: ٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٦.

وهو كما وصف وفوقه - ولكنه يوده لأنه سيجعله رسوله، فهو يصنعه على عينه، وذلك فوق الإيمان شريطةً لاستحقاق الود من الرحمن .

ثم ﴿مَحَبَّةٌ﴾ منكرة تلمح إلى ضخامتها وفخامتها القليلة النظير، و﴿مَنِّي﴾ تجعلها خاصة من لدنه، فقد استقرت عليه محبةً ربانية، فلا يراه أحد إلا أحبه دون أن يعرفه، إلا أن يعرفه عدوُّ له .

فيا للقدرة العجيبة التي تجعل من المحبة اللينة الهينة درعاً تتكسر عليها الضربات، وتتحطم عليه الأمواج، وتعجز كل قوَّات الشر والطغيان عن أن تمس حاملها بسوء وإن كان طفلاً رضيعاً، كيف وقد بلغ أشده، ثم حين عرفه عدوه يتربص به كل دوائر السوء فلا يقدر عليه أو يغدر به حتى إذا أدركه الغرق ونجى موسى ومن معه! .

فالقوى الطاغية المتربصة بالطفل لا تقوى عليه على طغواها، حيث ﴿مَحَبَّةٌ مِّنِّي﴾ تحرسه عنها، دون نزال له ولا صيال، وهي بكل صيال ونزال! .

ولماذا ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾؟ لأمر عدة تستحقها رحمة مني ولتُصنَع على عيني» وهكذا يصنع الله على عينه من يشاء أن يلقي عليه محبة منه .

أم «ولتضع على عيني» - ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ حيث الرسل صنائع الله يصنعهم على عينه كما يشاء ويصلح لحمل أعباء الرسالة الإلهية .

ف«عيني» هنا، وهي ككل الرقابة، تعني عين العلم والقدرة والتربية الربانية، فمثلت العين التربوية الإلهية تصنعه كما يريد، وليس يعني أن في الكون شيئاً يغيب عن رؤية الله، ولكنه يفيد الاختصاص بشدة الرعاية وفرط الحفظ والكلاءة أن تتربى بحيث أراك وأرعاك، فلأن الحافظ لشيء في الأغلب يديم رعايته بعينه، جاء هنا باسم العين بدلاً من الحفظ، تلطيفاً في الكلام، ومشابهة لما بين الأنام، فإنه تعالى يكلمنا بألستنا .

وهذه الصناعة تحلّق على كل كيانه وكونه، منذ أصلاب الآباء وأرحام

الأمهات، إلى الولادة، إلى التربية، وإلى النبوة والرسالة والنبوة، وإلى أن قضى نحبه.

وقد تعني ﴿وَلِئُصْنَعَ﴾ فيما عنته، أمه، فإن صناعتها هي من صناعته في طيب الحمل والولادة، وحسن الصنعة بائتمارها أمر ربها في قذفها في اليم، وما أجمله جمعاً بين الصناعتين فإنهما صناعته، ولأنه صيغة التذكير، ليست لتختص بها فإنها «لتصنعي» خطاباً، اللهم إلا في غياب الصيغة وهو بعيد عن السياق، والجمع أجمع وأجمل.

أنت تُصنع على عيني تحت عين فرعون عدواً لي وعدواً لك، كما تحت عيني أمك، فكما أنت على عين أمك بكل حنانها، كذلك تحت عين فرعون وفي متناوله بلا أي حارس وعلى أشرف كل كارث، ولكن عينه لا تمتد إليك إلا على عيني، لأنني ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾!

وترى ﴿مَحَبَّةً مِنِّي﴾ ميزة لموسى وحتى على خاتم الأنبياء ﷺ إذ لم يشمل النص، ولم يختص بنص آخر؟ إن الرسول محمد يفوق موسى ومن فوقه بفائقات عدة، منها أن «لا تتم الشهادة إلا أن يقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ينادى به على المنابر فلا يرفع صوت بذكر الله ﷻ إلا رفع بذكر محمد ﷺ معه^(١) وذلك قوله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٢)! وإنه رسول إلى النبيين كما إلى جميع العالمين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا

(١) نور الثقلين ٣: ٣٧٩ في كتاب الاحتجاج روى موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين ابن علي ﷺ قال: إن يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لأمير المؤمنين ﷺ فلقد ألقى الله على موسى ﷺ محبة منه؟ قال علي ﷺ لقد كان كذلك ولقد أعطى الله محمداً ﷺ ما هو أفضل منه لقد ألقى الله ﷻ عليه محبة منه فمن هذا الذي يشركه في هذا الاسم إذ تم من الله ﷻ به الشهادة فلا تتم الشهادة... .

(٢) سورة الشرح، الآية: ٤.

مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ .

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ فَنَسَا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾﴾ :

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِءَ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ *
وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَمْ يَنْصَحُوا ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ (٢) .

هنا - وبعد قذفه في اليم والتقاط آل فرعون له - تقصه أخته بأمر أمه فتبصر به عن جنب وهم لا يشعرون، ولأنه لم يكن يرتضع من أي ثدي حيث حرمت عليه المراضع من قبل إلا أمه، عرضت لهم من يكفله رضعاً ونصحاً، كفالة لحاجته روحية إضافة إلى بدنية، وهم بطبيعة الحال يفتشون عن هكذا مرضعة .

﴿إِذْ تَمْشِي ﴿١١﴾ عَلَيْهِ ظَرْفٌ لَّ ﴿١٢﴾ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿١٣﴾﴾ أخذاً لصناعته منذ رضاعته وهو صنيع ربه قبلها وبعدها حتى ارتحاله إلى رحمة ربه، ولكنما الرضاعة لأهميتها هنا كأنها بداية صناعة الرب، وهو صنيعه منذ أصلاب الآباء وأرحام الأمهات حتى النهاية في تطواف الرسالة وقضاء أمرها .

فلقد كان من صناعته له على عينه أن جعله لا يقبل ثدي المرضعات ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴿١٣﴾﴾ (٣) قال فرعون يبحثون له عن مرضعة مرضية،

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١ .

(٢) سورة القصص، الآيات: ١١-١٣ .

(٣) سورة القصص، الآية: ١٢ .

وتتسامع المرضعات هذه الطلبة الفرعونية فتسابق إلى القصر تكسباً لهذه المفخرة أن تصبح إحداهن مرضعة فرعونية، فيدبر الله أمره أن تمشي أخته ضمن المشاة فتقدمهما لما يتطلبون ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ ولكي يتم وعد الله له حيث حرمت عليه المراضع من قبل، وذلك من قرير عينها ألا يرتضع إلا منها جمعاً بين حق الربوبية وصالح الرسالة وبغية الأمومة! .

وهكذا يتم التدبير الرباني للطفل وأمه، حيث تأتمر وحيه، وتقذف فلذة كبدها في اليم، ليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو الله وعدو له ﴿وَلِئَصْغَ عَلَيَّ عَيْقٍ﴾ فيكون الأمن بإلقائه في خِصْمِ اليم الملتطم، وتكون النجاة من فرعون بإلقائه بين يديه بلا حارس ولا معين وبكل كارث! .

وهنا يتناسى السياق مساع موسى منذ ارتضاعه إلى بلوغ أشده، إلى عرض منة أخرى:

﴿وَقُلْتَ نَفْسًا فَفَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا فَاسْتَعْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُْوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُْوسَىٰ إِنَّكَ